

## الفصل الخامس

خضوع الخديو للاحتلال ١٨٩٨ - ١٩٠٦

- ١ - حادثة فاشودة وأثرها على مصطفى كامل والخديو .
- ٢ - اتفاق السودان وموقف مصطفى كامل والخديو منه .
- ٣ - محاولات كرومر فصل الخديو عن الحركة الوطنية .
- ٤ - زيارة الخديو لندن ١٩٠٣
- ٥ - الاتفاق الودى وآثاره على الحركة الوطنية والخديو .
- ٦ - القطيعة بين الخديو ومصطفى كامل ١٩٠٤ - ١٩٠٦
- ٧ - حادث طابه وموقف الحركة الوطنية والخديو منها .
- ٨ - حادث دنشواى ودوره فى انعاش الحركة الوطنية .

بعد أن وجد الخديو أن سياسته العلنية للاحتلال تسبب له الاضرار ، وتؤدي الى تقليص نفوذه أمام المعتمد البريطانى كرومر بدأ فى اتخاذ طريق الوفاق الظاهرى والمقاومة السرية ، ولكن هذه السياسة لم تدم طويلا نظرا لياسه من أى تعضيد يأتية من أوروبا وخصوصا فرنسا التى لم تكن جادة فى اتباع سياسة متشددة تهدف الى اجلاء الانجليز عن مصر ، وبعد أن رأى أن فرنسا تشكل سياستها فى مصر مع ما يتواعم ومصالحها خصوصا بعد فاشودة وما تبعها من تنازلات على حساب مصر كان أخطرها الاتفاق الودى الذى تعهدت فيه فرنسا بعدم مطالبة انجلترا بموعد للجلاء عن مصر فى سبيل أن تترك انجلترا لفرنسا اليد الطولى فى مراكش .

وقد أدى ذلك الى تغيير سياسة الخديو تجاه الاحتلال وخضوعه لارادة كرومر مما جعل الحركة الوطنية فى حيرة خصوصا وانها كانت تتخذ من الخديو أداة هامة فى الصمود أمام الاحتلال ، وفيما يلى نعرض للمواقف التى جعلت الخديو يفقد الأمل فى مساعدة أوروبا له ، وصمود الحركة الوطنية رغم المصاعب التى بثها الاحتلال للقضاء عليها .

#### ( أ ) حادثة فاشودة وأثرها على مصطفى كامل والخديو :

يرجع اهتمام فرنسا بمنطقة فاشودة الى أهميتها من الوجهة الحربية والجغرافية فبى تعد حفتاح النيل الأعلى ، وتقع على ملتقى الطرق الموصلة من الخرطوم والحبيشة الى جنوبى السودان ، وعلى مقربة من ملتقى روافد النيل . ومن يملكها يضمن النفوذ على شمالى السودان وجهات خط الاستواء (١) .

(١) الرافعى : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ، ص ١٢٢

ونظرا لتزايد التنافس الاستعماري بين إنجلترا وفرنسا عهدت فرنسا الى الكابتن مارشان Capitane Marchand بالزحف على فاشودة بقصد احتلال مركز هام في أعلى النيل تساوم به إنجلترا على الدخول في مؤتمر أوربي تطرح فيه مسألة الجراء عن مصر وتحديد مصير السودان المصري •

وقد سار مارشان على رأس كتيبة من الجند قاصدا فاشودة فعقد اتفاقا مع مشايخ الثلث تم بمقتضاه بسط حماية فرنسا على بلادهم (٢) كما استطاع الوصول الى فاشودة واحتلالها في ١٠ يوليه ١٨٩٨ وقد أدى ذلك الى حدوث أزمة سياسية بين إنجلترا وفرنسا اتهمت فيها إنجلترا الفرنسيين بالاعتداء على حقوق مصر باحتلالهم بلدا مصريا ورفعهم العلم الفرنسي على أملاك الخديو (٣) كما أصدرت الحكومة البريطانية أوامرها الى كتشنر بالاسراع الى فاشودة ورفع العلم المصري عليها (٤) فسار كتشنر اليها مرتديا زي الطربوش (٥) ، كما أوعزت الحكومة البريطانية الى الحكومة المصرية بأن ترسل برقية الى لندن تطلب فيها رد جميع الأراضي السودانية الى السيادة المصرية وعلى أثر ذلك اشتدت الأزمة بين إنجلترا وفرنسا ، وكان من المنتظر أن يؤدي ذلك اما الى صدام بين الدولتين أو الى تمسك فرنسا بموقفها فيفتح باب المسألة المصرية ، وتضطر إنجلترا الى الجلاء عن مصر في نظير جلاء الفرنسيين عن فاشودة (٦) ، ونتيجة لذلك قويت آمال المصريين في الاستقلال ورحبت بعض الصحف بقدم مارشان الى

- 
- (٢) على ابراهيم عبده : المنافسة الدولية في أعلى النيل ١٨٨٠ - ١٩٠٦ . القاهرة - الأنجلو المصرية ١٩٥٨ ، ص ٢٧١  
 (٣) الرافعي : المرجع السابق ، ص ١٢٤  
 (٤) أحمد شفيق : حوليات مصر، السياسية ج ١ ، ص ٣١  
 (٥) الأهرام : في ١٩٦٩/٣/٧ . دراسة قام بها مركز الدراسات التاريخية بالأهرام .  
 (٦) الرافعي : المرجع السابق ، ص ١٢٤

شواطئ النيل وعبرت عن ابتهاجها بذلك (٧) كما تهكمت إحدى الصحف على طلب الحكومة المصرية من إنجلترا رد الأراضي التي احتلتها مارشان إلى مصر فذكرت صحيفة (لوكورييه دوريان) تحت عنوان « مسرحية هزلية » أن الحكومة المصرية التي أرسلت البرقية ما هي إلا لورد كرومر الذي يتحدث نيابة عنها (٨) .

وقد وصل التوتر في العلاقات بين إنجلترا وفرنسا إلى درجة الاستعداد للحرب ، وقد حاول دالكاسيه وزير خارجية فرنسا اقناع إنجلترا بالدخول في مفاوضات مع فرنسا قبل الجلاء عن فاشودة ، ولكن الحكومة البريطانية تمسكت بضرورة الجلاء عن فاشودة قبل الدخول في أي مفاوضات ، ولما لم تكن فرنسا مستعدة للمخاطرة بالحرب مع إنجلترا من أجل مصر فقد اضطرت إلى التراجع والتسليم بمطالب الحكومة البريطانية فأرسلت تعليماتها إلى مارشان في ٣ نوفمبر ١٨٩٨ بالانسحاب من فاشودة (٩) .

ونتيجة لتسليم فرنسا للانجليز في فاشودة أصيبت الحركة الوطنية بزعامة مصطفى كامل بصدمة عنيفة نظرا لأنها كانت تضع فرنسا ضمن آمالها في اجلاء الانجليز عن مصر فاتضح للمصريين المتعلقين بالأمل في مساعدة فرنسا أنه لا جدوى من مساعدتها ، وبالرغم من ذلك فإن هذه الحادثة لم تفت في عضد مصطفى كامل بل ضاعفت من جهاده وقد أوضح ذلك قائلا « ولكنى ثابت على خطتي حتى المات » ورغم جنوح معظم رجالات مصر إلى الولاء للاحتلال واكتساب رضاه فإن مصطفى كامل طالب المصريين بالتكاتف والاتحاد من أجل اجلاء الانجليز عن مصر بقوله « الأمر بيدنا وانه لو اتحد

(7) La Réforme : 9 Septembre 1898.

(8) Le Courier d'Orient : 7 Novembre 1898.

(9) Langer : op. cit., p. 538.

مائة منا لاهتزت الأرض قاطبة لصوتهم فما بالك لو اتحدت الأمة المصرية كلها (١٠) » .

ومع ذلك فان مصطفى كامل لم يستطع اخفاء أثر فاشودة على أبناء وطنه فشرح في رسالة له الى أخيه أثرها بقوله « ان الأحوال السياسية سيئة للغاية بعد مسألة فاشودة » وعن علاقة مصطفى كامل بالخدوي بعد فاشودة ، فبالرغم من أن الخديو قد توقف عن مقاومة الاحتلال وأخذ يذعن للأمر الواقع ويتوعد للاحتلال ، وكان أول مظهر لهذه السياسة زيارته للندن عام ١٩٠٠ تلك الزيارة التي آلت الوطنيين كثيرا فان مصطفى كامل قد التمس له العذر بسبب فاشودة (١١) وظلت علاقته به ودية ، وحاول ألا تؤثر هذه الحادثة على علاقته بالخدوي حيث كان يعي الدرس الذي لاقته له عبد الله النديم والذي أوضحه في كتابه المسألة الشرقية بقوله ان الشقاق سبب خياع الأمم وسبب دمارها .. فلولا الشقاق بين الحزب العرابي ونوفيق باشا ما كبرت الحوادث وتجسمت وتدخلت انجلترا في الأمر .. واحتل الانجليز مصرنا العزيزة (١٢) » .

وعلى كل حال فانه يمكن اجمال نتائج حادثة فاشودة على كل من الخديو والحركة الوطنية فيما يلي :

١ - تغير موقف الخديو ازاء الاحتلال فبعد أن كان يعتمد على فرنسا في مسانده ضد المعتمد البريطاني كرومر أخذ يتجنب الدخول في أزمات مع الانجليز بل أخذ يتوعد اليهم ويحاول أن يكون في وفاق معهم .

(١٠) الرافعي : المرجع السابق ، ص ١٢٧

(١١) علي فهمي كامل : رسائل مصرية فرنسية ، ص ٦٢ رسالة من مصطفى كامل الى جوليت آدم بتاريخ ٢ يونيه ١٩٠٠

(١٢) مصطفى كامل : ( المسألة الشرقية ) القاهرة . مكتبة الآداب - الطبعة الأولى ١٨٩٨ ، ص ٢٥٨

٢ - تركت حادثة فاشودة أسوأ الأثر في نفوس المصريين وعلمتهم أن الكفاح من أجل الجلاء مرير ، وأنه لا بد من الاعتماد على أنفسهم قبل أى شئ (١٣) حيث أن فرنسا قد تخلت عن معارضتها لانجلترا فجنح معظم رجالات مصر الى الولاء للاحتلال ومحاولة اكتساب رضاء اذ رأوا في حادثة فاشودة برهانا واضحا على رسوخ أقدام الانجليز في مصر (١٤) .

٣ - تعتبر حادثة فاشودة ضربة قاضية للنفوذ الفرنسى في مصر فالمصريون الذين كانوا يعلمون أولادهم اللغة الفرنسية عدلوا عنها الى الانجليزية (١٥) وليس معنى ذلك أن المصريين أصبحوا أصدقاء للانجليز ولكن يرجع ذلك لرد فعل فاشودة وقد أوضح مصطفى كامل هذا الأثر في رسالة له الى جوليت آدم حيث قال « ان السياسة الفرنسية تعكس أمرى وتجعلنى ذاهلا أمام التناقض الغريب المسطور في تاريخها ، عجبا ! أنسيت فرنسا فاشودة . ان سياسة الحكومة الفرنسية لم تعمل عملا واحدا يجعلنى آملا فيها (١٦) » كما أوضحت جوليت آدم اغلاظ السياسة الفرنسية في فاشودة فقالت « فاشودة ! انها الضربة القاضية! لقد قلت فى رسائلى قبلا ان غير واحد من ساسة فرنسا قد أفهم الخديو والوطنيين المصريين أن فرنسا ستتدخل لصياح مصر سريعا وبصفة حاسمة ، وأبانوا لهم أن بعثة مارشان هى الحاملة لراية استقلال مصر فصاروا جميعا يعتقدون أن تحرير وضمهم سيأتى من السودان ، ولكن حادثة فاشودة قضت على آمال الوطنيين المصريين (١٧) » .

(١٣) أحمد رشاد : المرجع السابق ، ص ١٤١

(١٤) الرافعى : المرجع السابق ، ص ١٢٥

(١٥) أحمد رشاد : المرجع السابق ، ص ١٦٤

(١٦) على فهمى كامل : المرجع السابق ، ص ٦٩ .

(١٧) الرافعى : المرجع السابق ، ص ١٢٥

٤ - كانت حادثة فاشودة نصرا كبيرا للاحتلال وعملائه في مصر ومع أنها بعثت اليأس في نفوس كثير من الوطنيين وأخمدت جذوة الوطنية في نفوسهم ، فانها لم تخدم جذوة الوطنية في نفس مصطفى كامل الذي ضاعف من جهاده وكفاحه بمقدار ما ازدادت المصاعب في طريقه فأخذ يفكر من ذلك الحين في الاعتماد على الرأي العام وهداه تفكيره الى انشاء صحيفة اللواء لتغذي نفوس المصريين بمبادئ الوطنية والأمل والجهاد كما دعا الى نشر التعليم القومي وتربية النشء تربية دينية (١٨) .

٥ - رغم يأس الخديو من مقاومة الاحتلال فان مصطفى كامل استطاع أن يجدد الأمل في نفوس المصريين حيث حمل حملة صادقة على اليأس ودعا كل مصرى الى القيام بواجباته الوطنية .

وهكذا كانت فاشودة نقطة تحول أمام الحركة الوطنية المصرية التي رأت أن فرنسا لا تهتم بالقضية المصرية الا اذا كان ذلك متفقا مع مصالحها الخاصة ، فأثر مصطفى كامل الاعتماد على الرأي العام المصرى وان كان لم يفقد الأمل في مساعدة أوروبا .

### اتفاق السودان وموقف مصطفى كامل والخديو منه :

سعت بريطانيا بعد استرجاع السودان الى مد سيطرتها عليه ولكن المشكلة التي واجهت كرومر ، وكان لابد من ايجاد حل لها هي الكيفية التي يحكم بها السودان وهل يكون حكمه حكما انجليزيا أم مصرياً ، ولما كان مركز انجلترا في مصر لا يزال يلقى مقاومة من بعض الدول الأوروبية فقد استقر الرأي على أن يكون حكم السودان مشتركا بين الانجليز والمصريين ففى ٤ سبتمبر ١٨٩٨ أرسلت وزارة الخارجية البريطانية مذكرة الى الحكومة المصرية تذكر فيها « أنه بالنظر الى

المساعدات المادية التي قدمتها الحكومة البريطانية الى الحكومة المصرية في الناحيتين الحربية والمالية فقد قررت حكومة جلالة الملكة رفع العلم البريطانى بجانب العلم المصرى فى الخرطوم ٠٠٠ وأنها تعتبر لصوتها الغلبة فى جميع المسائل المتعلقة بالسودان ، وأنها تبعا لذلك تنظر أن تلتزم الحكومة المصرية بكل نصيحة تقدمها اليها الحكومة البريطانية فى شأن المسألة السودانية (١٩) .

ونتيجة لذلك وقعت اتفاقية الحكم الثنائى فى السودان بين بريطانيا ومصر والذى بمقتضاها خول لبريطانيا رسميا حق الاشراف فى ادارة شؤون الحكم فى السودان ، ورفع العلم الانجليزى الى جانب العلم المصرى فى كافة أرجائه ، وتعيين حاكم عام للسودان بناء على طلب الحكومة البريطانية ، مما أدى الى سلخ السودان عن مصر واستئثار الانجليز بادارته (٢٠) .

وقد فوجئت الأمة المصرية بتوقيع هذه الاتفاقية ، فاستنكرتها واعتبرتها سلبا لحقوق مصر فى السودان فقد هاجمها مصطفى كامل واعتبرها برهانا جديدا على عدم مراعاة انجلترا للعهود ، الشئ الذى يعتبره المصريون جميعا باطلا لأنه مخالف للأنظمة الأوربية والقوانين الدولية (٢١) كما اعتبرت جريدة اللواء يوم ١٩ يناير الذى وقعت فيه الاتفاقية أكبر أيام الشقاء فى تاريخ مصر وأسوأ تذكارات يهيج فى نفوس

(١٩) رئاسة مجلس الوزراء ، السودان من ١٣ فبراير ١٨٤١ الى ١٢ فبراير ١٩٥٣ ، ص ٥

(٢٠) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق . ص ١٢٢

وعن نصوص الاتفاقية انظر :

د. محمد فؤاد شكرى : مصر والسودان — تاريخ وحدة وادى النيل

الذي يسية فى القرن التاسع عشر . القاهرة — دار المعارف ، ص ٢٨٨ وما بعدها .

(٢١) على فهمى كامل : مصطفى كامل فى ٣٤ ربيعا ج ٩ ، ص ٩٥

المصريين الأحرار الآلام والأشجان (٢٢) ثم طالبت المصريين باعتبار هذه الاتفاقية باطلة (٢٣) أما عن الخديو فقد قبل الاتفاقية نظرا لضعف مركزه لو انفرد بالمعارضة وخشية ارهاب كرومر له .

وبتحليل لهذه الاتفاقية يتضح بطلانها من الناحية القانونية للأسباب الآتية :

١ - أن مصر ليس لها الحق في عقد مثل هذه الاتفاقية لأنها تخالف نصوص الفرمانات السلطانية الصادرة الى الخديو (٢٤) فمصر ولاية من ولايات الدولة العثمانية لا يحق لها التنازل عن شبر واحد من أرض السودان أو ملحقاتها ، كما أن الخديو ليست له الصفة التي تخوله التوقيع على هذه الاتفاقية لأنه حاكم ولاية تابعة للدولة العثمانية وسلطاته مقيدة بالفرمانات السلطانية (٢٥) .

٢ - ان عقد هذه الاتفاقية يعتبر مخالفا لمعاهدة لندن ١٨٤٠ لأن استيلاء انجلترا على بعض مناطق السودان على أثر اخلائه ثم الاشتراك في ادارته يعد اعتداء على ممتلكات الدولة العثمانية كما يتناقض مع معاهدة باريس البرمة في مارس ١٨٥٦ بشأن المحافظة على ممتلكات الدولة العثمانية وكذلك معاهدة برلين البرمة في يولييه ١٨٧٨، وبروتوكول النزاهة الصادر عن مؤتمر الآستانة في سنة ١٨٨٢ وهذه الوثائق تعرفها انجلترا جيدا لأنها احدى الدول الموقعة عليها (٢٦) .

٣ - ان شرط سلامة المعاهدات هو توافر عنصر الرضا بين الطرفين المتعاقدين وهذا لا يتفق مع حالة مصر فالخديو لم يكن راضيا

(٢٢) اللواء : العدد ١٦ من السنة الاولى فى ٢٠ يناير ١٩٠٠ مثال لمصطفى كامل تحت عنوان يوم ١٩ يناير .

(٢٣) نفسه .

(٢٤) على فهمي كامل : المرجع السابق ج ٩ ، ص ٩٥

(٢٥) د. محمد فؤاد شكرى : المرجع السابق ، ص ٥٣٤ - ٥٣٥

(٢٦) نفسه : ص ٥٣٥ - ٥٣٦

عن هذه الاتفاقية ، ولم يوافق عليها الا بعد ضغوط شديدة : كما أن مصر المحتلة بالقوات الانجليزية و ارادتها ليست في يدها فكيف يكون لها حرية التصرف في التوقيع على هذه الاتفاقية (٢٧) .

٤ — انفردت انجلترا بالسيطرة على السودان ذلك لأن المادة الثالثة من الاتفاقية تنص على تركيز الرئاسة العليا في يد « حاكم عموم السودان » الذى يعين بأمر الخديو وبناء على طلب الحكومة الانجليزية ولا يجوز عزله الا بموافقة لندن (٢٨) ومن ثم يتضح أن الادارة الثنائية كانت شكلية وأن الأمر كله كان بيد انجلترا فتعيين حاكم عموم السودان أو عزله مشروط بموافقة بريطانيا (٢٩) .

وهكذا كان توقيع اتفاقية السودان بداية استكانة الخديو للاحتلال بعد أن رأى عدم جدوى المقاومة خصوصا بعد تخلى فرنسا والدول الأوروبية عنه في الموقف لمواجهة الاحتلال ، وكان أثر ذلك تناقص شعبية الخديو ، واضعاف مركزه أمام الوطنيين ، وتدهور علاقته بالسلطان الذى اعتبر موافقة الخديو على الاتفاقية نقضا للفرمانات السلطانية التى تحدد مركزه .

كل هذا جعل الخديو مستعدا للتعاون مع كرومر على أساس أن يرد له نصيبه في حكم البلاد .

(٢٧) د. راشد البراوى : مجموعة الوثائق السياسية د ١ . المركز الدولى لمصر والسودان وقناة السويس . القاهرة — النهضة المصرية — الطبعة الأولى ١٩٥٢ ، ص ١٠٧

(٢٨) الأهرام : فى ٧ مارس ١٩٦٩ — دراسة قام بها مركز الدراسات التاريخية لمصر المعاصرة بالأهرام .

(٢٩) د. راشد البراوى : المرجع السابق ، ص ١٠٩

### ٣ - محاولات كرومر فصل الخديو عن الحركة الوطنية :

اتبع كرومر وسائل عديدة لاختتام الحركة الوطنية أهمها الفصل بينها وبين الخديو والعمل على كسب الأخير الى جانب الاحتلال وقد ساعد على ذلك عاملان هما :

#### ١ - تمرد فرقتين من الجيش المصرى الموجود فى أم درمان :

فى يناير ١٩٠٠ تمردت فرقتين من الجيش المصرى لأسباب أهمها انتشار الشائعات بأن الجيش المصرى الموجود بالسودان سيرسل الى جنوب أفريقية بعد هزائم الانجليز هناك وأيضا أساءة معاملة الضباط المصريين والتفرقة بينهم وبين الضباط الانجليز (٣٠) .

ولما أمر النائب العام بتجريد الجيش من سلاحه وذخيرته أبت الفرقتان اطاعة الأمر ، وقد سجن الضباط المتهمون بالتحريض على التمرد وأحيلوا الى مجلس تحقيق لمحاكمتهم (٣١) .

وقد شك الانجليز فى أن الخديو وراء هذا التمرد ، لذلك أجبروه على توجيه خطاب شديد اللهجة لمبرى الحادث كما ضغطوا عليه للتصديق على الأحكام العسكرية التى صدرت بطرد سبعة من الضباط المصريين من خدمة الجيش ، وقراءة خطاب وضع كرومر مسودته يستنكر فيه الخديو مسلك المتمردين ويعلن تأييده للسردار وأن ينشر هذا الخطاب كأمر يومى يقرأ فى وحدات الجيش ثلاثة أيام متوالية (٣٢) .

وكان هدف كرومر من ذلك هو اجبار الخديو على التنصل علنا من

(٣٠) د. المسدى : محاضرات فى تاريخ مصر المعاصر .

(٣١) الرافعى : المرجع السابق ، ص ٣٤٠

(٣٢) المجلة التاريخية المصرية . العدد الثانى والعشرون ١٩٧٥ مقال للدكتور المسدى تحت عنوان « الاحتلال والحركة الوطنية فى مصر فى اوائل القرن العشرين » ص ٩٠

نشاط الحركة الوطنية ، وفعلا نجح كرومر في ذلك فقد استحضر الخديو الضباط وعنفهم على ما وقع منهم ، وأبدى تأييده للسردار ونجت باشا (٣٣) .

## ٢ - زيارة الخديو الرسمية الى لندن في صيف ١٩٠٠ :

حاول الخديو الاتصال مباشرة بالحكومة البريطانية والأسرة المالكة فقام في مساء ٢ يونيو ١٩٠٠ بمغادرة ثغر الاسكندرية الى انجلترا لزيارة ملكتها ، وأقام مصطفى فهمي رئيس النظار نائبا عنه مدة غيابه (٣٤) . وقد تأثر الخديو بالحفاوة التي لقيها هناك فقد استقبلته الملكة فيكتوريا وأهدت اليه وسام فيكتوريا الأكبر . وقامت بتقليده اياها امعانا في اكرام وفادته . كما أنعمت على مرافقيه ورجال حاشيته بأوسمة ونيائين وقد لثم الخديو يدها وألقى خطابا أعرب فيه عن أمله في أن تسود العلاقات الطيبة بين مصر وانجلترا وأن تسير بخطى مطردة (٣٥) .

ونتيجة للحفاوة التي لقيها الخديو أعرب في تصريح له الى فارس نمر صاحب المقطم بأنه أصبح يفهم الانجليز أكثر مما مضى كما أعلن عن سروره من الزيارة وأمله في أن تكرر ، كما أشار الى احترامه نكرومر ووجوب التفاهم معه ، وأنه لم يحدث بينهما أى خلافات الا حين يتدخل آخرون بينهما لذلك فهو يفضل التعامل معه رأسا ، ومن هنا أفصح الخديو عن الثمن الذى يريده للتعاون مع الانجليز وهو أن يكون له نصيب فى ادارة البلاد (٣٦) .

(٣٣) الرافعى : المرجع السابق . ص ٢٤٠

(٣٤) الهلال : السنة الثانية ج ١٧ ، ١٨ فى ١٥ يونيو ١٩٠٠  
ص ٥١٤ تحت عنوان « الجناب الخديو وجده ابراهيم » .

(٣٥) احمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن ج ٢ القسم الاول ،  
ص ٣٣٠ - ٣٣٨

(٣٦) د. المسدى : محاضرات فى تاريخ مصر المعاصر .

وقد كانت هذه الزيارة وهذا التصريح أكبر الأثر في استياء الوطنيين من الخديو ، ولما كانت الحركة الوطنية تعتمد على تأييد الخديو فان هذا التأييد لم يستمر بانحياز الخديو الى الانجليز ، كما امتد الخضوع للانجليز وعييدهم كرومر الى بعض العناصر الوطنية مثال ذلك أن جريدة المؤيد بدأت تفتقر حملاتها تدريجيا ضد الاحتلال كما امتنع صاحبها عن نشر مقالات مصطفى كامل بها رغم أنه كان يعهد اليه من قبل بادارتها أثناء غيابه كما حدث في أكتوبر ١٨٩٩ ومع ذلك فان مصطفى كامل ومجموعته لم يقرروا موقف خضوع الخديو للاحتلال بل عبروا عن أسفهم لموقفه ونصحوه بالولاء للسلطان وللحركة الوطنية، وان كانوا قد التمسوا له العذر بعد فاشودة<sup>(٣٧)</sup> وأخذ مصطفى كامل في جذب المصريين للالتفاف حول الخديو لمقاومة الاحتلال عن طريقه لما له من تأثير ونفوذ .

وهكذا بدأت سياسة كرومر في التفريق بين الخديو والحركة الوطنية تؤتى ثمارها من جانب الخديو الذي توقف عن القيام بأى عمل معاد للاحتلال بينما ظل مصطفى كامل متمسكا بولائه للخديو مقدرًا صعوبة موقفه خصوصا بعد تخلي أوروبا وخصوصا تولى فرنسا عنه .

### زيارة الخديو لندن ١٩٠٣ :

حاول الخديو التخفيف من سياسة كرومر تجاهه فقام بالاتصال المباشر بملك وحكومة بريطانيا وقد شجعه على ذلك الحفاوة التي تقبل بها أثناء زيارته الأولى عام ١٩٠٠ ، ورغبته في حضور حفل زواج صديقه الدون جورست المستشار المالى الانجليزى في مصر<sup>(٣٨)</sup> .

(٣٧) على فهمى كامل : رسائل مصرية فرنسية ، ص ٦٧ ، رسالة من مصطفى كامل الى جوليت آدم بتاريخ ٢١ يونيه ١٩٠٠  
(٣٨) حضر الخديو هذا الحفل ، وقدم للعروس هدية ثمينة وكانت عبارة عن مجموعة أساور وخاتم ، وكلها من الزبرجد المحلى بالماس .  
احمد شفيق : المرجع السابق ج ٢ ، ص ١٤ - ١٥

وقد رحبت الصحف البريطانية بهذه الزيارة وأكثر من الكتابة عنها ، ولكي يثبت الخديو حسن نواياه تجاه الانجليز صحب معه الشيخ على يوسف صاحب جريدة المؤيد ، وطلب منه الانتماء بالصحافة الانجليزية والدعوة الى مزيد من التعاون بين مصر وبريطانيا (٣٩) يضاف الى ذلك أن الخديو استقبل في لندن رجل التجارة والمال الانجليزي أرست كاسل E. Castle الذي كانت له علاقات مالية متعددة مع مصر منها امتلاكه ٥٠٪ من رسمال شركة الدائرة السنية ومن رأسمال البنك الأهلى المصرى وكان يعمل للحصول على امتيازات جديدة من مصر، وقد أقرض « كاسل » الخديو مبلغ نصف مليون جنيه بفائدة ٣٪/ كما ساعد جورست الخديو على منحه تسهيلات مالية كبيرة على حساب الحكومة المصرية ، وعلى هذا الأساس استحوذ الخديو على مناطق واسعة من مريوط مقابل مبالغ ضئيلة من المال (٤٠) ، وذلك فى مقابل تسهيل الخديو اقامة بعض المشاريع المالية الانجليزية فى مصر مثل اعطاء امتياز السكك الحديدية لشركة انجليزية ، والسماح لكاسل بشراء مئة ألف فدان من أراضى الوجه البحرى (٤١) .

أما عن أثر هذه الزيارة من الناحية السياسية فقد قربت وجهات النظر بين الخديو وبين الحكومة البريطانية التى بدأت تعيد حساباتها ومواقفها تجاه تشدد كرومر نحو الخديو .

ونتيجة للمكاسب التى حققها الخديو فى انجلترا تشجع مرة أخرى على مضايقة كرومر ، فأخذ يعيد علاقاته مع مصطفى كامل والعناصر المناهضة للاحتلال خصوصا وان الملك ادوارد السابع ملك انجلترا كان

(٣٩) المؤيد : فى ٨ ، ٩ يوليه ١٩٠٣ وايضا .

احمد شفيق : المرجع السابق ، ص ١٤ — ٢١

(٤٠) د. المسدى : المرجع السابق .

(41) Blunt : My Diaries : Vol 2, p. 90 - 91..

قد أظهر استياءه من كرومر لعدم معاونته كاسل في تنفيذ مشروعاته المالية في مصر (٤٢) .

وهكذا كانت زيارة عباس الى لندن ذات أثر كبير في مد جسر من العلاقات ذات المصالح المتبادلة بين الخديو وملك بريطانيا مما مهد فيما بعد الى تراجع الحكومة البريطانية عن تأييد سياسة كرومر والبحث عن خلف له ، يكون أكثر مواءمة في التعاون مع الخديو ، وكان تعيين الدون جورست Eldon Gorst بداية هذه السياسة .

### ٥ - الاتفاق الودي وآثاره على الحركة الوطنية والخديو :

بعد أن تولى الملك ادوارد السابع عرش إنجلترا (٤٣) بدأت محاولات الانجليز في التقرب من فرنسا ، وكان فاتحة ذلك زيارة ملك إنجلترا لباريس في مايو ١٩٠٣ ، وتبعها زيارة رئيس جمهورية فرنسا لانجلترا (٤٤) . وعقب ذلك قيام الحكومتين بتسوية المسائل المختلف عليها بينهما وأسفرت مفاوضاتهما عن ابرام الاتفاق الودي بينهما في ٨ أبريل ١٩٠٤ ، وقد لعب اللورد كرومر دورا هاما في انجاز هذا الاتفاق الذي كانت أبرز نصوصه لاعلان إنجلترا بأنها لا تتوى تعديل الأوضاع السياسية في مصر ، كما أنها لا تعرقل عمل فرنسا في مراكش ، واعلان فرنسا بأنها لا تتدخل في عمل إنجلترا بمصر لا بطلب تحديد موعد للجلاء عنها ولا بأى طريقة أخرى كما أنها لا تتوى ادخال تعديلات في أحوال المغرب السياسية .

وبهذا الاتفاق اطمأنت إنجلترا على مركزها في مصر ، وحصلت

(42) Blunt : op. cit., p. 98.

(٤٣) تولى الملك ادوارد السابع عرش إنجلترا عقب وفاة والدته الملكة فيكتوريا عام ١٩٠١

(44) Zetland : op. cit., p. 280.

على موافقة قانونية على وضع كان من قبل غير شرعى الى حد كبير<sup>(٤٥)</sup> وأصبحت في مأس من الارتباكات الدولية . وأخذ الانجليز يوطدو مركزهم في وادى النيل لدرجة أصبحت فيها المسألة المصرية على حسب تعبير كرومر ذات طابع داخلى<sup>(٤٦)</sup> .

أما عن نتائج هذا الاتفاق المعنوية عند المصريين فقد أدى الى صدمة عنيفة لديهم . وأغلق الباب في وجوههم تجاه فرنسا بعد أن كانوا يعلقون عليها آمالا واسعة ، وبعد أن كانت عنصرا هاما في السياسة الوطنية المصرية ، وكان المصريون يرجون تأييدها كلما تحزب الأمر بينهم وبين الانجليز<sup>(٤٧)</sup> .

كما ترجح اليأس في النفوس ، وانصرف الناس عن متابعة الحركة الوطنية وجنح معظمهم لسياسة الخضوع والاستسلام للانجليز<sup>(٤٨)</sup> . وانصرف الناس عن الحديث عن المسألة المصرية مما دفع بعض الصحف الى مطالبة المصريين بالابتعاد عن اليأس وأن يضعوا نصب أعينهم استقلال بلادهم<sup>(٤٩)</sup> .

ومع أن مصطفى كامل لم يتراجع في وطنيته أمام الاتفاق الودى ولم يتزعزع يقينه في الجهاد ، فان كتاباته كانت تنطق بالسخط على هذه الاتفاقية فقد أرسل الى جوليت آدم يشكو الحقيقة المؤلمة بقوله « ان خطة فرنسا .. قد دفعت - بلا جدال - الانجليز الى ظلمنا أشد مما كان » كما أوضح لها أن هذه الاتفاقية جلبت على مصر أسوأ

(45) Cromer : Report on the finances, administration, and Condition of Egypt and Sudan in 1904. April 1905 p. 4.

(٤٦) أحمد رشاد : المرجع السابق ، ص ١٧٨

(٤٧) د. ابراهيم عبده : جريدة الأهرام - تاريخ مصر فى خمس و...عشرين سنة . القاهرة - دار المعارف ١٩٥١ . ص ٢٥٣

(٤٨) الرافعى : المرجع السابق ، ص ١٧٣

(٤٩) الأهرام : فى ٨ أبريل ١٩٠٤

النتائج وأن المصريين أصبحوا يكرهون فرنسا أكثر من انجلترا نفسها<sup>(٥٠)</sup> وأن فرنسا كانت أول دولة صادقت على الاحتلال بعقد رسمي<sup>(٥١)</sup> .

وبالرغم من أن عزائم البعض قد وهنت فان مصطفى كامل لم يستكن بل شرع في جهاده يرفع شعار لا يأس مع الحياة ولا حياة مع اليأس ، وهذى بثبات وجلد<sup>(٥٢)</sup> متذرعاً بالأمل في التفاف الشعوب الاسلامية حول دولة الخلافة من أجل الدفاع عن مصر .

أما عن الخديو عباس فقد آثر السلامة وانضوى تحت لواء الاحتلال ، وأخذ يسترضى كرومر فحضر لأول مرة الاحتفال بعيد ميلاد الملك ادوارد السابع في ٩ نوفمبر ١٩٠٤ ، ووقف تحت العلم البريطاني بجوار كرومر ، وشهد العرض حتى نهايته فكان لحضوره هذا الاحتفال الذي يمثل الاحتلال الأجنبي تمثيلاً مهيناً للكرامة المصرية أثر أليم في النفوس لذلك انتقده الوطنيون مما اضطر المعية الى اصدار بلاغ رسمي تنسب فيه حضور الخديو الى مجرد الصدفة حيث كان بسرأي عابدين يوم العرض<sup>(٥٣)</sup> .

والواضح أن الخديو قد غير سياسته تجاه الانجليز عقب الاتفاق المؤدى تغييراً جوهرياً ، وبلغ من استسلامه لهم موافقته على تعيين ياور انجليزى له في عام ١٩٠٥ وهو وطسن باشا<sup>(٥٤)</sup> وقد عبر مصطفى كامل عن ألمه لما حدث في خطاب له الى جوليت آدم فقال عين الانجليز ياورا انجليزيا في معية الخديو ، وسيصير في أقرب وقت رئيساً للديوان أى وزيراً للجند في بيت الخديو ، وهو مبدأ التداخل البريطاني في

(٥٠) على فهمي كامل : المرجع السابق ، ص ١٣٥ خطاب من مصطفى كامل الى جوليت آدم بتاريخ ١٠ مايو ١٩٠٤ .

(٥١) نفسه : ص ١٣٧

(٥٢) محمد حسين هيكل : المرجع السابق ، ص ٥٨

(٥٣) الرافعي : المرجع السابق ، ص ١٨٣

(٥٤) نفسه : ص ١٨٧

السراى ، وبذلك يكون حاكم مصر بعد بضع سنين محاطا ليل نهار  
بأنجليز . . ومن ذلك تعلمين مقدار ألى ! (٥٥) .

وهكذا كان خضوع الخديو للاحتلال من الأسباب التى جعلت  
مصطفى كامل يفقد عنصرا هاما فى مساندة الحركة الوطنية ومع انه  
حاول ألا تصل علاقته بالخديو الى درجة القطيعة فان توالى الأحداث  
جعلت الأمور تصل الى حد القطيعة بينهما لمدة تصل الى عامين .

ونتيجة لكل ذلك أخذ اللورد كرومر بظهور بمظهر صاحب السيطرة  
الفعلية على البلاد فأخذ يزور الأقاليم ويقابل المديرين والأعيان كأنه  
الحاكم الفعلى للبلاد ، كما تقدم بنفسه الى الجماهير يخاطبهم فى  
الثئون العامة ويلقى عليهم النصائح والأوامر (٥٦) .

وهكذا كان للاتفاق الودى آثاره السلبية على الحركة الوطنية  
المصرية وعلى زيادة خضوع الخديو للاحتلال .

#### القطيعة بين الخديو ومصطفى كامل ١٩٠٤ - ١٩٠٦ :

أخذت بوادر الخلاف بين مصطفى كامل والخديو تنمو كلما زاد  
الخديو فى خضوعه للاحتلال ، ولما ثارت قضية زواج الشيخ على  
يوسف صاحب المؤيد فى يوليه ١٩٠٤ وذلك حين تزوج على يوسف من  
الآنسة صفية ابنة الشيخ السادات دون علم والدها ، رفع الشيخ  
السادات دعوى بالمحكمة الشرعية طالبا انتفريق بين الزوجين لعدم  
أهلية الزوج ، ورغم أن المحكمة قضت بالحيلولة بين الزوجين فان  
الخديو عمل على تأييد صاحب المؤيد من وراء ستار مما ضايق مصطفى  
كامل وزاد من ثورة الرأى العام على الخديو ، ولما سافر الخديو

(٥٥) على فهمى كامل : المرجع السابق ، ص ١٩١ - ١٩٥

(٥٦) اللواء : فى ٦ فبراير ١٩٠٥

الى ديفون<sup>(٥٧)</sup> للاستجمام زاره مصطفى كامل وصارحه برأيه في مزار تأييده للشيخ على يوسف ولامه بلطف لتداخله في هذه القضية وأن ذلك سيسبب الى سمعته « خصوصا وأن الرأي العام كان ساخطا على الشيخ على لرغبته في الزواج بالبنت رغم ارادة والدها<sup>(٥٨)</sup> . واثبت الأمر بينهما لدرجة أن الخديو قال لمصطفى كامل « رأى عام ايه ياشيخ هو فيه حاجة اسمها رأى عام أو أمة أنا ان لبست برنيطة ومشيت في البلد ما حد يتكلم<sup>(٥٩)</sup> » ثم احتد الخديو قائلا لمصطفى كامل : « أنا ما أحبش تنصحنى أنا عارف الواجب على<sup>(٦٠)</sup> .

وبعد هذه المقابلة رأى مصطفى كامل أن يقطع علاقته بالخديو واعتزم الابتعاد عنه<sup>(٦١)</sup> . ولما أراد مصطفى كامل أن يكتب جوابا للخديو بشأن ذلك حاول فريد وبعض زملائه منعه ، ولكنه صمم على رأيه<sup>(٦٢)</sup> ولما عاد من أوروبا الى مصر أرسل خطابا الى الخديو أوضح فيه أنه اعتزم الابتعاد عنه حتى لا يظن أحد أن عليه شيئا من المسؤولية في جهاده السياسى<sup>(٦٣)</sup> وقد أرسل مصطفى كامل صورة الخطاب الى الأهرام ثم نشره باللواء ونصه كالآتى :

(٥٧) ديفون : بلدة من أعمال فرنسا ، وعلى آخر حدودها المتاخمة لسويسرا ، وقد اشتهرت بحمامها البارد الكثير الفوائد فقصدها المصطافون؛ وكان الغرض من ذهاب الخديو عباس الثانى الى مياه حمام ديفون هو حفظ درجة اعتدال جسمه حتى لا ينمو بالسمنة التى هو مستعد لها .

المؤيد : العدد ٢٢٧٤ فى ١٦ أغسطس ١٩٠٢ تحت عنوان « الجناب العالى الخديو فى مصيفه بديفون » .

(٥٨) دار الوثائق : منكرات محمد فريد . الجزء الأول — القسم الأول ملف ١ ، ص ١

(٥٩) نفسه .

(٦٠) نفسه .

(٦١) الرافعى : المرجع السابق ، ص ٢٤٦ ، وايضا اللواء : العدد ١٥٥ . فى ٢٥ أكتوبر ١٩٠٤ تحت عنوان « الى الجناب العالى » .

(٦٢) منكرات محمد فريد : الجزء الأول — القسم الأول ، ص ١

(٦٣) الرافعى : المرجع السابق ، ص ٢٤٦

« مولاي : تشرفت في ديفون بالمثلول بين يدي سموكم يوم ٢٧ أغسطس الماضي ، ورفعت الى مقامكم السامي أن الحالة السياسية العاصرة تقضى على أن أكون بعيدا عن فخامتكم وأن أتحمل وحدي مسئولية الخطة التي أتبعها نحو الاحتلال والمحتلين ، منعاً لتكدير خاطرکم الشريف ، ودفعاً لما عساه يقع من الخلاف والنزاع (٦٤) » .

ومن ذلك الخطاب يتضح مدى وطنية مصطفى كامل واخلاصه في جهاده ففي الوقت الذي يتقرب فيه الخديو من المحتلين يستमित مصطفى كامل في كفاحه ، وفي اللحظة التي تخلى عنه فيها بعض مواطنيه وتعاونوا مع المحتل ظل على مقاومته له باباء وشمم (٦٥) .

وقد عبر مصطفى كامل عن صعوبة الموقف في خطاب له الى جوليت آدم ٢٦ ديسمبر ١٩٠٤ فبث لها همومه بقوله « انى أحضر مشهدا فظليعا من أفضع المشاهد ، ذلك هو سقوط وطنى ، ولو كنت لا أستطيع أن أتنفس الصعداء كل لحظة لقبرت من زمن بعيد ، انه لن أشق الأعمال أن يجاهد المرء ضد الزمن والحوادث والناس ! وليس هناك شىء يؤلمنى أكثر من الانحطاط الأدبى الذى استولى على أولئك الذين كان يجب عليهم أن يكونوا أكبر الناس شمما وشهامة (٦٦) » .

كما أرسل لها خطابا بتاريخ ٩ مارس ١٩٠٥ قال فيه « انى أعمل واجدا في الحركة والجهاد أجمل تعزية ، وقد أراد الله أن أكون المصرى الوحيد الذى يرفع لواء الاستقلال (٦٧) » .

(٦٤) اللواء : العدد ١٥٥ من السنة الخامسة فى ٢٥ أكتوبر ١٩٠٤ تحت عنوان « الى الجناب العالى » .

الرافعى : المرجع السابق ، ص ٣٤٦

(٦٥) أحمد رشاد : المرجع السابق ، ص ١٩٤

(٦٦) على فهمى كامل : المرجع السابق . خطاب من مصطفى كامل

الى جوليت آدم ، ص ١٦٥

(٦٧) نفسه : ص ١٨٥

وقد عبر مصطفى كامل عن استقلاله عن الخديو بقوله « ان سمو الأمير بعيد عن الحركة الوطنية ، وان المجاهدين ضد الاحتلال مستقلون عن سموه كل الاستقلال (٦٨) » كما ذكر في مقال آخر « لقد انتهوا الحزب الوطني تارة بأنه موحى اليه من الدولة العلية ، وطورا من ألمانيا ، وتارة أخرى من سمو الخديو ، وقد سقطت التهمتان الأوليان من قبل وهذه الثالثة قد سقطت الآن معها ، فحان الأوان أن نهنيء أنفسنا (٦٩) » .

ومن الواضح أنه لم يكن ممكنا أن يستمر مصطفى كامل على اتصاله بالخديو ، لأن عباس الثاني قد عرف عنه عدم الاستقرار في الميول والخطط والآراء (٧٠) ، كما أن الخديو رأى أن صلته بمصطفى كامل قد كلفته كثيرا في علاقته بالانجليز ، لذلك أخذ في الابتعاد عنه خشية جلب مزيد من المتاعب له .

### حادث طابة وموقف الحركة الوطنية والخديو منها :

خلاصة هذه الحادثة أن تركيا أثارت الخلاف الذي أحدثته من قبل حين تبوأ عباس الثاني أريكة الخديوية عام ١٨٩٢ ، بأن أرادت أن تقطع شبه جزيرة سيناء من مصر فاعتزمت في مايو ١٩٠٦ مد سكة حديدية من معان الى العقبة ، ولما كان ذلك يعنى وجود قوة جديدة لتركيا على حدود مصر مما يؤدى الى تهديد مركز بريطانيا في مصر فقد اهتم الانجليز بالأمر وأرسلوا ضابطا كبيرا عهدوا اليه بوضع نقط عسكرية على طول الخط من العريش الى العقبة باعتبار أنها من أملاك مصر ، ولكن الجنود التركية احتلت موقع طابة ، وهو على بعد ثمانية أميال غربى العقبة ، ونتيجة لذلك حدث خلاف شديد بين تركيا وانجلترا

(٦٨) اللواء : فى ٢٧ مايو ١٩٠٧

(٦٩) الرافعى : المرجع السابق ، ص ٣٥١

(٧٠) نفسه : ص ٣٤٨

نضرت فيه انجلترا بمظهر الدولة الحامية لمصر ، اذ طالبت تركيا باسم مصر أن تجلو عن طابئة (٧١) ، وأرسلت لها انذارا تطالبها بالجلء عن طابئة في ظرف عشرة أيام والا ستكون النتائج وخيمة للغاية . ونتيجة لذلك أبرق السلطان الى الخديو يطلب منه التفاهم مع مختار باشا في المسألة ، وكان رد عباس بأنه ليس لديه ما يضيفه سوى استهزار التمسك بحدود رفح - العقبة .

وبعد أسبوع من الانذار أخذت قوات الأسطول البريطانى تستعد للتحرك الى طابئة ، كما أعدت بريطانيا جزءا من أسطولها للذهاب الى المضائق والقيام بمظاهرة بحرية مما جعل الدولة العثمانية تسلم بمطالب الانجليز فقررت الجلاء عن طابئة ، ولم يمض وقت طويل حتى تشكلت لجنة تركية مصرية أخذت في تخطيط الحدود بين البلدين (٧٢) فعين « أوين بك مدير قسم المخابرات و ابراهيم فتحى باشا مندوبين من طرف الحكومة الخديوية للتوجه الى العقبة والاجتماع مع المندوبين العثمانيين لتحديد التخوم المصرية في شبه جزيرة طور سينا وقد خول للمندوبين المصريين السلطة المطلقة في هذا الشأن ورافقهما بعض مستخدمى مصلحة المساحة (٧٣) » .

وقد تتبع المصريون النزاع التركى الانجليزى فوقفوا بعض العناصر الوطنية بجانب الأتراك وأبدوا تأييدهم لموقفهم وأنكروا تدخل بريطانيا في المشكلة فكتبت اللواء تهاجم موقف انجلترا في مقال تحت

٧١١ ، الرامعى : المرجع السابق . ص ١٩٧

(٧٢) الاهرام : فى ١٩٧٩/٧/٢٠ مقال للدكتور يونان لبيب نحت عنوان « قراءة تاريخية فى حادثة تعيين حدود مصر الشرقية » .

(٧٣) محفوظات مجلس الوزراء - نظارة الحربية . محفظة رقم ١/د : مرسوعات مختلفة مجموعة ١١ حربية تحت عنوان « تلغراف وارد من الباب العالى بخصوص طابئة بتاريخ ٢٤ يناير ١٩٠٦ » .

عنوان « أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً »<sup>(٧٤)</sup> كما كتب مصطفى كامل موضحاً أنه ليس لانجلترا أى صفة شرعية أو رسمية تعطىها حق الدفاع عن مصر ضد الدولة العثمانية<sup>(٧٥)</sup> ، وهاجمت المؤيد موقف الانجليز من الأزمة فى مقال لها بعنوان « كيف يزداد حب الدولة العلية فى مصر وكيف ينمو بغض الانجليز »<sup>(٧٦)</sup> كما أرسل مصطفى كامل الى جوليت آدم موضحاً استياءه من تدخل الانجليز فى مسألة العقبة<sup>(٧٧)</sup> ودعا الى جلاء الانجليز عن مصر .

أما الخديو عباس الثانى فقد وقف سرا بجانب السلطان فى هذه الأزمة مع أنه ساير الاحتلال فى الظاهر ، ويؤكد ذلك أن الانجليز حصلوا على صور البرقيات المتبادلة بين الخديو والآستانة ، وكانت كلها ضدهم مع أن الخديو كان يظهر عكس ذلك معهم ، فلما اطلع عليها ملك انجلترا قال كنت أظن أن الخديو معنا ولكننا أصبحنا نعرف أنه يظهر لنا غير ما يضر لذلك فلم نعد نثق به ، ونتيجة لذلك خسر الخديو عضداً قويا ضد كرومر<sup>(٧٨)</sup> .

كما كان لموقف جريدته اللواء المؤيد لتركيا أكبر الأثر فى تفكير أحمد لطفى السيد فى انشاء جريدة مصرية تتطرق بلسان مصر وحدها دون أن يكون لها ميل خاص الى تركيا أو الى احدى السلطتين الشرعية أو الفعلية فى مصر<sup>(٧٩)</sup> .

ونتيجة لتراجع الأتراك فى الأزمة تداعى الركن الثانى من أركان الدعوة التى كان مصطفى كامل يستند عليها وسقط كل أمل للمصريين

(٧٤) اللواء : العدد ٢٠٢٦ فى ١٣ مايو ١٩٠٦

(٧٥) اللواء : فى ٢٢ أبريل ١٩٠٦ تحت عنوان « مسألة طورسينا » .

(٧٦) المؤيد : العدد ٤٨٦٠ فى ١٢ مايو ١٩٠٦

(٧٧) على فهمى كامل : المرجع السابق ، ص ٢٣٧

(٧٨) أحمد شفيق : المرجع السابق ج ٢ . قسم ٢ ، ص ٨٢ - ٨٧

(٧٩) هيكل : المرجع السابق ، ص ٥٩

في معونة تركيا (٨٠) ، فكان هذا درسا للحركة الوطنية المصرية أظهر لها مرة ثانية أنه لا بد من أن تعتمد مصر على نفسها ، ولا جدوى من انتظار المساعدة من أى دولة أخرى .

### حادث دنشواى ودوره فى انعاش الحركة الوطنية :

كان لهذا الحادث أثر بالغ فى انعاش الحركة الوطنية واهتزاز مركز الاحتلال ، وخلصته أن بعض الضباط الانجليز - من كتيبة كانت فى طريقها من الاسكندرية الى القاهرة عسكرت فى قرية كمشوش التابعة لمديرية المنوفية - أرادوا الترويح عن أنفسهم بصيد الحمام فذهب خمسة منهم الى بلدة دنشواى التابعة لمركز شبين الكوم وصحبوا معهم جنديا مصرية ومترجما (٨١) ، وفى أثناء ذهاب الجندي الى بيت عمدة القرية ليبلغه بوصول الضباط الانجليز ، دخل الضباط ضيعة أحد الملاك لصيد حمام وجدوه واقفا على جرن محمد عبد النبى مؤذن القرية ، ومع أن أحد الفلاحين نبه الترجمان بأنه فى السنة الماضية جاء جماعة من الانجليز واصطادوا الحمام ، ولا يصح أن يتكرر ذلك هذه السنة فان أحد الضباط أطلق رصاصة انحرفت عن هدفها مما أدى الى اشتعال النار فى جرن محمد عبد النبى مؤذن القرية (٨٢) ، ونتيجة لذلك حاول بعض الأهالى انتزاع البنادق من الضباط فحدثت مشادة أطلق خلالها الضباط أعيرة نارية أصيب من جرائها سيده تدعى أم محمد وشيخ الخفراء الذى كان قد حضر ومعه بعض الخفراء مما أدى الى زيادة ثورة الأهالى فشددوا هجومهم على الضباط وحاولوا انتزاع أسلحتهم وضرهم ففر منهم اثنان هما بول وبوستوك اللذين جريا فى اتجاه معسكرهم فأصيب الأول بضربة شمس أودت بحياته ، وفر الآخر حيث

(٨٠) هيكىل : المرجع السابق ص ٥٩ .

(٨١) احمد رشاد : المرجع السابق ، ص ٢٠١

(٨٢) نفسه : ص ٢١٢

أبلغ قيادته بالحادث فقدمت دورية لانقاذ الضباط فصادفت الضابط بول ، وقد أحاط به الأهالي عند « سوق سرسنا » حيث سقط معشياً عليه ، ونقلوه الى مبنى صغير فى السوق حيث قدموا اليه الماء ، وحين اقتربت منهم الدورية فروا مما أدى الى اعتقال أفرادها أنهم قتل بول فطاردوهم وفى أثناء ذلك عثروا على أحد الفارحين - سيد أحمد سعيد - مختبئاً فى حفرة الطاحون فظنوا أنه هو القاتل وانهلوا عليه ضرباً بكعوب البنادق والسونكى حتى هشموا رأسه .

ولما علمت سلطات الاحتلال بالحادث سعدت من سياسة الارهاب وطلبت تقديم المتهمين للمحكمة المختصة برئاسة بطرس غالى بصفته قائماً بعمل ناظر الحقانية وعضوية أحمد فتحى زغلول رئيس محكمة مصر الابتدائية ، وثلاثة من الانجليز ، وقد عقدت المحكمة جلساتها يوم ٢٤ يونيه فى صيوان كبير يسع حوالى ثلاثة آلاف شخص دعى فيه الأعيان والعمد من مديرية المنوفية والمديرىات التى حولها لمشاهدة الجلسات (٨٢) ، وقد استمرت جلسات المحكمة ثلاثة أيام ، وبالرغم من ثبوت أن المشاجرة كانت بسبق اصرار ، وأن وفاة الضابط الانجليزى كانت نتيجة ضربة شمس فقد درست المحكمة القضية ولم تعط للمتهمين الاثنتين والخمسين فرصاً للدفاع عن أنفسهم الا ثلاثين دقيقة فقط ليقولوا ما عندهم (٨٤) .

وفى الجلسة الأولى قرأ الالبابوى الاتهام وطلب بمعاينة المتهمين بأشد العقوبات (٨٥) ورغم تقارير الأطباء بأن وفاة الضابط بول كانت نتيجة ضربة شمس فان الالبابوى اعتبر أن المتهمين هم الذين عرضوه لضربة الشمس بعد ضربه : لذلك اعتبرهم قتلة .

(٨٣) دار الوثائق : مذكرات ابراهيم الالبابوى ، ص ٧٧

(٨٤) جوليت آدم : انجلترا فى مصر ، ص ٢٣٧

(٨٥) عن تفاصيل مرافعة الالبابوى . انظر : المقطم فى الاربعماء ٢٧

وقد حكمت المحكمة بإعدام أربعة من الثرويين شنقا وهم حسن على محفوظ ويوسف حـ بين سليم والسيد عيسى سالم ومحمد درويش زهران والأشغال الشافه المؤددة على اثنين هه، محمد عبد النبي المؤذن وأحمد محفوظ والأشغال الشاقفة لمدة ١٥ عاما على أحمد محمد السيسى والأشغال الشاقفة لمدة ٧ أعوام على ستة من المتهمين والجاد خمسين جلدة والحبس مع الشغل لمدة عام على ثلاثة والجاد خمسين جلدة على خمسة ، كما عزل عمدة دنشواى .

وقد نفذت الأحكام علنا فى قرية دنشواى فى ٢٨ يونيو أى بعد أسبوعين من الحادث<sup>(٨٦)</sup> واستغرق ذلك ساعة بين عويل النساء، وصراخ الأطفال ووجرم الرجال وكان أول الذين شنقوا هو حسن محفوظ . وكان بيته على مسافة خمس مترات من المشنقة وعلى سطح منزله وقفت حرمة وبناته وأولاده وحفيداته وأولادهن من حيب استطاعوا أن ييمصروه ولما رأوه يدنو من المشنقة ناحوا فلما سمع عزيلهم تكلم قائلا « لعنة الله على الظالمين<sup>(٨٧)</sup> » .

وإذا تفحصنا أسباب هذا الحادث والأحكام التى صدرت من المتهمين نخرج بالنتائج التالية :

- ١ - ان المعتدى انما هم الانجليز لأنهم فاجئوا قرية آهلة بالسكان ليصطادوا الحمام كما لو كانت قرية ميجورة لا سكان فيها .
- ٢ - ان بعض الأهالى حذروا الضباط من خطورة اطلاق النار ولكنهم لم يأبهوا لذلك التحذير .
- ٣ - لا يمكن للأهالى - وقد رأوا احدى نساءهم تسقط جريحة والنار تشتعل فى جرن القمح ، واصابة شيخ الخفراء وآخرين برصاص

(٨٦) محمد رشاد عبد العزيز: حادث دنشواى ، ص ١٤ - ٢٢

(٨٧) بلنت : مظانع العدالة الانجليزية . ترجمة المؤيد ، ص ٦٨ - ٦٩

الانجليز - أن يقفوا مكتوفى الأيدى دون أن يدافعوا عن أهلهم وبلدتهم (٨٨) .

٤ - ان أحكام المحكمة المخصوصة تجافى العدالة لأن أغلب أعضائها من الانجليز . بمعنى أن الانجليز جعلوا من أنفسهم حكاما وخصوصا فى آن واحد .

٥ - أثبت تقرير الطب الشرعى أن الضابط المتوفى انما مات لاصابته بضربة شمس وذلك لأن الوقت كان صيفا ودرجة الحرارة ٤٣ درجة .

٦ - ان الدفاع عن المتهمين لم يكن من القوة والجرأة بحيث يتناسب مع خطورة القضية وأهميتها سواء من وجهة النظر الوطنية أو من وجهة نظر أداء واجب الدفاع قضائيا ، فقد التمس المحامون الرحمة ، وفوضوا أمر المتهمين الى المحكمة كأن التهمة ثابتة عليهم (٨٩) .

٧ - كانت المحاكمة شبه صورية لأن النية كانت مبيتة على الانتقام فلم تستغرق المحاكمة سوى ثلاثة أيام ، وقبل أن تنهى المحاكمة اجراءاتها صدر الأمر الى مخازن بولاق لاعداد المشانق والآلات الخاصة بالجلد وارسالها الى دنشواى (٩٠) .

### نتائج الحادث :

١ - كان لهذا الحادث أكبر الأثر فى ايقاظ الأمة المصرية ، فبعد هذه المأساة كادت الأمة المصرية تستسلم لليأس لولا دوى صوت

(٨٨) شحاته عيسى : الكتاب الأسود للاستعمار البريطانى فى مصر ص ٩٧

(٨٩) محمود كامل : أشهر القضايا المصرية . القاهرة - كتاب اليوم ص ١١٥

(٩٠) شحاته عيسى : المرجع السابق ، ص ٩٨

مصطفى كامل الذى بدد سحب اليأس وأحيا شعور التضامن القومى بين المصريين حتى أصبحت كافة البلاد المصرية تغلّى بشعور سياسى مصطبغ بنزعة عدائية للاحتلال (٩١) كما فقد المصريون كل أمل فى العدالة التى يتشدد بها الانجليز ، وقد عبر قاسم أمين عن أثر هذا الحادث فى نفوس المصريين فقال « رأيت عند كل شخص تقابلت معه قلبا مجروحا وزورا مخنوقا ودهشة عصبية بادية فى الأيدى والأصوات» كان الحزن على جميع الوجوه حزن ساكن مستسلم للقوة ، مختلطا بشيء من الدهشة والذهول ، يرى الناس يتكلمون بصوت خافت وعبارات منقطعة وهيئة بائسة منظرهم يشبه منظر قوم مجتمعين فى دار ميت ، كأنما كانت أرواح المشنوقين تطوف فى كل مكان من المدينة (٩٢) » .

٢ - يعتبر هذا الحادث حدا فاصلا بين عهدين ، عهد اطمأن فيه الانجليز الى ثبات مركزهم فى مصر ، وخصوصا بعد أن أطلقت فرنسا لهم العنان ، والعهد الآخر هو يقظة الشعور الوطنى وتبديل يأس المصريين الى أمل واطلاع الرأى العام الأوروبى والانجليزى على ما يرتكبه الاحتلال فى مصر من مآس ، وعلى مقدار العدل الذى كان الانجليز يفتخرون بتحقيقه فى مصر (٩٣) .

٣ - عودة الخديو عباس الثانى الى صفوف الحركة الوطنية وعودة العلاقات بينه وبين مصطفى كامل وقد أوضح محمد فريد ذلك بقوله « لما حصلت مسألة دنشواى كاتب مصطفى كامل الخديو بواسطة أحمد شفيق باشا . . ثم سافر الى لوندرة وقام بحركة ضد كرومر وخطب هناك خطبة كبيرة فى جمع من الكبراء (٩٤) » .

(91) Little, Tome. Egypt. London 1958 pp. 111 - 112.

(٩٢) الرامعى : المرجع السابق ، ص ٢٠٧

(٩٣) عبد الحميد الكاشف : تاريخ الحزب الوطنى تحت زعامة محمد

فريد - رسالة ماجستير غير منشورة .

(٩٤) مذكرات محمد فريد : الجزء الأول - القسم الأول ، ص ١

٤ - اعتبر المصريون أن أحكام دنشواى القاسية كانت اجراء انتقاميا ، لذلك تركت هذه الحادثة جرحا لا يندمل في ذاكرة الفلاحين المصريين (٩٥) واثارت كراهيتهم للانجليز بصفة عامة .

٥ - كان من نتائج دنشواى ازدياد قوة الحركة الوطنية التى يتزعمها مصطفى كامل ، وانضمام كثير من المترددين الى صفوف الحركة الوطنية ، فهتف الفلاح وابنه وامراته من وراء المحراث وفى طريق القرية وعلى سطح الدار باسم مصطفى كامل (٩٦) وتقربوا منه وبذلك انضم الى حركة مصطفى كامل الفلاحين بعد أن كانت تقتصر على المثقفين مما أربك سياسة الاحتلال (٩٧) .

٦ - استغل مصطفى كامل هذا الحادث للتشهير بالسياسة الانجليزية واثارة الرأى العام فى أوروبا عامة وانجلترا خاصة على قسوة ما اتخذ من اجراءات ، فما أن سمع بالحادث وكان وقتذاك بباريس حتى كتب فى جريدة الفيجارو مقالا فى ١٦ يوليه ١٩٠٦ تحت عنوان « الى الأمة الانجليزية والعالم المتمددين » روى فيه حقيقة الحادث وهاجم المحكمة المخصوصة ، وما أصدرته من أحكام ، واستنكر الطريقة التى نفذت بها الأحكام مما أحدث دويا كبيرا وأثار الضمير العالمى (٩٨) وجعل من دنشواى مأساة عالمية عرف بها العالم المتمددين كله ، ويعتبر بدء حملة مصطفى كامل ضد الحادث من فرنسا تكتيكا بارعا حيث كانت الأرض مألوفة لديه ، ومهيأة لدعوته (٩٩) كما أن الصحف الانجليزية الحرة أيدت مصطفى كامل فالترييون

(95) Chirol, V. The Egyptian Problem p. 93.

(٩٦) محمد مصطفى الهياوى : مصر فى ثلثى قرن بين الماضى والحاضر . القاهرة ١٩١٩ ، ص ٣٢

(٩٧) د. محمد مصطفى صنوت : مصر المعاصرة ، ص ٨٦

(٩٨) المبرزى : مذكرات الخديو عباس الثانى فى ١٩ مايو ١٩٥١

(٩٩) د. المسدى : دنشواى ، ص ١١٤

The Tribune عاقت على مقالة مصطفى كامل في الفيجارو بمقالة  
طويلة طالبت فيها « وجوب معاملة المعمرى معاملة وقار ، وأن تمنح  
مصر حكومة مستقلة (١٠٠) » .

ولم كتب مصطفى كامل الى بلنت يعرب عن رغبته في الذهاب  
الى لندن لايضاح القضية المصرية أمام الرأي العام البريطانى شجعه  
بلنت على ذلك فاتجه مصطفى كامل الى لندن مستعينا بخبرة الخديو .  
وهناك تعرف على كثير من النواب الانجليز وكبار الكتاب والصحفيين ،  
وعقد اجتماعا حضره بعض أعضاء البرلمان الانجليزى ومنهم المستر  
روبرتسن الذى أثار القضية في البرلمان .

وقد حاول ادوارد جراى وزير الخارجية البريطانية استغلال  
الحادث للتشهير بالمصريين حيث وقف في مجلس النواب وتكلم عن  
التعصب الاسلامى في مصر ، وطالب النواب بألا يشغلوا أنفسهم  
بالمسألة المصرية حتى لا يضعفوا سلطان الحكومة فيها (١٠١) ، وقد أدى  
ذلك الى استياء مصطفى كامل فطلب من فخرى باشا القائم بأعمال  
الخديو في مصر أن يدحض تهمة التعصب الدينى التى وجهها جراى الى  
المصريين (١٠٢) .

كما أوضح مصطفى كامل بطلان هذا الاتهام قائلاً انه لا يوجد  
مسلم متتور واحد يظن لحظة واحدة أنه من الممكن اجتماع الشعوب  
الاسلامية فى عصبية واحدة ضد أوربا ، وأن الذين يقولون ذلك  
اما جاهلون أو راغبون فى ايجاد هاوية بين العالم الأوربى  
والمسلمين (١٠٣) ، وقد اضطرت أحاديث مصطفى كامل الى تراجع

(١٠٠) على فهمى كامل : المرجع السابق . ص ٢٤٧

(١٠١) جوليت آدم : المرجع السابق ، ص ٢٣٩

(102) Alexander : The Truth about Egypt London 1911.  
p. 49 - 50.

(١٠٣) جوليت آدم : المرجع السابق ، ص ٢٤٣

جراى عن موقفه فذكر أن ما حدث فى مصر ليس مرجعه التعصب بمعناه الدينى وانما بمعناه السياسى (١٠٤) .

ومما سبق يتضح أن زيارد مصطفى كامل لبريطانيا قد أوضحت مدى حقيقة الأوضاع فى مصر ، وقد أدى ذلك الى حدوث مشادات كلامية فى مجلس العموم البريطانى بين وزير الخارجية وبين أعضاء المجلس من الايرلنديين والراديكاليين ، وحزب العمال ، وقد وقف مصطفى كامل وبلنت خلف الايرلنديين (١٠٥) بينما ساند الخديو وبعض رجاله مثل الشيخ على يوسف الراديكاليون (١٠٦) .

٧ - شهرت الصحف الوطنية وخصوصا اللواء بالطريقة التى نفذت بها أحكام دنشواى كما كان لخطباء المساجد دور فى التأثير على رأى العام وايضاح المظالم التى حاقت بفلاحى دنشواى .

٨ - تراجع الحكومة البريطانية عن تأييد سياسة كرومر ورأت أن التضحية بشخصه أفضل من ضياع مصانحها فى مصر (١٠٧) ومن ثم أنهت حكم كرومر واستبدلت بسياسة العداء للخديو سياسة التهدئة وعدم التشدد (١٠٨) التى اتبعها جورست . وقد اعتبر الحزب الوطنى سقوط كرومر ظفرا وطنيا كبيرا (١٠٩) .

٩ - الاتفاق على تأسيس الحزب الوطنى وجريدتى ليتندار ، L'Etendard Egyptien والاسنندارد The Egyptian Standard وذلك لشرح وجهة النظر المصرية أمام رأى العام الأوروبى ، وقد وعد

(104) Blunt : My Diaries, Vol 11 p. 158 - 159.

(105) Ibid. pp. 154 - 155.

(١٠٦) المصرى : مذكرات الخديو عباس الثانى ، فى ١١ مايو ١٩٥١

(١٠٧) أحمد شفيق : المرجع السابق ج ٢ ، ص ١١٧

(١٠٨) دار الوثائق : مذكرات سعد زغلول . كراس رقم ٦ ص ٢٥٠

(١٠٩) جوليت آدم : المرجع السابق ، ص ٢٦٦

للخديو بالمساعدة في المشروع (١١٠) كما أوعز سرا الى بعض الأغنياء بالمساعدة ، مما أدى الى تضيق كروم وانتقاده لهذا العمل ثم مقابله للخديو لاستيضاح الموقف ، ولكن الخديو أنكر ذلك وذكر أنه لم يتقابل مع مصطفى كامل ولم يمهده بالمعاونة (١١١) .

١٠ - حاول الانجليز اجتذاب العناصر الوطنية الى جانبهم فطلب كامل بانرمان رئيس الوزراء البريطانى من مصطفى كامل ترشيح ٣٣ اسما لتعيينهم في ادارة سئون مصر وكان سعد زغلول ضمن قائمة المرشحين (١١٢) .

١١ - أدت أحداث دنشواى الى اتساع دائرة تأثير مصطفى كامل على الجماهير فكثرت اضرابات الطلبة ، واتسع انتشار الصحف الوطنية، وازدادت حركة الاتصال بين الجماهير وقادة الحركة الوطنية ، وشارك الأقباط في موجة النقد الموجهة ضد الاحتلال ، وبذلك زادت هذه الحادثة من الوحدة بين المسلمين والأقباط (١١٣) .

١٢ - المطالبة بالغاء المحكمة المخصصة لأنها والعدل ضدان لا يجتمعان كما اتضح ذلك من محاكمات دنشواى (١١٤) .

١٣ - بدأت انجلترا والعالم الأوربى يعرفان أن الرغبة في الحرية

(١١٠) مذكرات محمد فريد : الجزء الأول . القسم الأول ، ص ٢

(١١١) أحمد شفيق : المرجع السابق ج ٢ ، ص ١٠٣

(١١٢) جوليت ادم : المرجع السابق . ص ٢٥٩

(١١٣) مصطفى النحاس جبر : سياسة الاحتلال تجاه الحركة الوطنية

ص ٢١

(١١٤) دار الوثائق : محافظ عابدين . ديوان خديو - محفظة رقم ١٢ التماسات جماعية « عريضة استخلاص واسترحام الى الجناب العالى الخديو من حزب الاصلاح على المبادئ الدستورية » .

والاستقلال لم تكن وليدة عدد قليل من المصريين ، وإنما هي رغبة الجماهير العريضة من الشعب المصرى •

وهكذا كانت أحداث دنشواى سببا فى تغيير السياسات والمفاهيم لدى كافة الأطراف فقد شدت من أزر الحركة الوطنية وأعدت الخديو الى صفوفها كما جعلت الانجليز يغيرون من سياستهم فى مصر مما كان له أثره على الأحداث بعد ذلك •